

٤٤-سورة الدخان-مكية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ③ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ④
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
⑦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ⑨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ⑩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ
⑪ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑫ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑬
أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑭ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑮ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا
إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ ⑯ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ⑰ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ
وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ⑱ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑲

(حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)

هذا قسم بالقرآن على القرآن فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه ②

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أنه أنزله (فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ) كثيرة الخير و البركة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]

التي هي خير من ألف شهر و في {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥]

فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي و الأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام

لينذر به قوما :-

١-عمتهم الجهالة ٢-و غلبت عليهم الشقاوة

فيستضيئوا بنوره و يقتبسوا من هداه و يسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي و الخير الأخروي

و لهذا قال:- (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَضُرُّهُمْ شَرْعًا لَتَقُومَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ. ③

(فِيهَا) في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ) يفصل و يميز و يكتب كل أمر قدرى و شرعى

حكم الله به و هذه الكتابة و الفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب و تميز فتطابق

الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق و آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم و أحوالهم

ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد و هو في بطن أمه ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا

و كل به كراما كاتبين يكتبون و يحفظون عليه أعماله ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة

(حَكِيمٌ) مُحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ ﴿١﴾

(أَمْرًا) صادر (مِنْ عِنْدِنَا) جَمِيعَ مَا يَكُونُ وَ يَقْدُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا يُوحِيهِ فَبِأَمْرِهِ وَ إِذْنِهِ وَ عِلْمِهِ

(إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) للرسل و منزلين للكتب و الرسل تبلغ أوامر المرسل و تخبر بأقداره ﴿٥﴾

(رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب و الرسل و كل خير ينالونه في الدنيا

و الآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) يسمع جميع الأصوات

(الْعَلِيمُ) يعلم جميع الأمور الظاهرة و الباطنة و قد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله و كتبه فحمصه بذلك

بيان قدرة الله ٧-٨

من عليهم فله تعالى الحمد و المنة و الإحسان. ﴿٦﴾

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) خالق ذلك و مدبره و المتصرف فيه بما شاء

(إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ) عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق ﴿٧﴾

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود إلا وجهه (مُخِيٍّ وَيُمِيتُ) هو المتصرف وحده بالإحياء و الإماتة

و سيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) رب الأولين و الآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم. ﴿٨﴾

موقف المشركين من الدعوة و القرآن ٩-١٦

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ)

منغمرون في الشكوك و الشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل ﴿٩﴾

(فَارْتَقِبْ) انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب و آن أوانه

(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)

الصحيح المسند من أسباب النزول:-* صحيح البخاري ٤٨٢١ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

إِنَّمَا كَانَ هَذَا ثَانً قَرِيشًا لَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ

حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١١] قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ، فَإِنَهَا قَدْ هَلَكَتْ قَالَ: «لِمُضَرٍّ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» فَاسْتَسْقَى لَهُمْ

فَسَقَوْا فَنَزَلَتْ: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥] فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَقَدْ مَضَى خُمْسَةُ: -الدُّخَانُ وَ الرُّومُ وَ الْقَمَرُ وَ الْبَطْشَةُ وَ اللِّزَامُ.

(يَغْشَى النَّاسَ) يعمهم ذلك الدخان و يقال لهم: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)

كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ١٢٧]

(أَيُّ لَهْمُ الذِّكْرِ؟) كيف يكون لهم التذكر و الاتعاض بعد نزول العذاب بهم (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) محمد ﷺ

(ثُمَّ تَوَلَّوْا) أعرضوا (عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين هو مجنون و ليس برسول؟

(يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)

فوق و أن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى قالوا: و هي **وقعة بدر** و في هذا القول نظر ظاهر و قيل: **إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة** و أنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس

قصة قوم فرعون ١٧-٣٨

و يصيب المؤمنين منهم كهية الدخان

(وَلَقَدْ قَتَلْنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) ابتليناهم و اختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم

(وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) الذي فيه من الكرم و مكارم الأخلاق ما ليس في غيره

(أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) قال لفرعون و ملئه: أدوا إلي عباد الله بني إسرائيل

أي: أرسلوهم و أطلقوهم من عذابكم و سومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشيرتي و أفضل العالمين في زمانهم. و أنتم قد ظلمتموهم و استعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم

كَقَوْلِهِ: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: ٤٧]

(إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ) رسول من رب العالمين

(أَمِينٌ) على ما أرسلني به لا أكتمكم منه شيئاً و لا أزيد فيه و لا أنقص و هذا يوجب تمام الانقياد له

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾
 وَإِن لَّمْ تَوْتُمُونِي فَاعْنُرُونِي ﴿٢١﴾ فَدَعَارِبُهُمْ أَن هَتُولَاءِ قَوْمٌ يُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾
 وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
 وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاثَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ
 مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
 فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْشٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) بالاستكبار عن عبادته و العلو على عباد الله

(إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة ظاهرة و هو ما أتى به من المعجزات الباهرات و الأدلة القاهرة ﴿١٩﴾

فكذبوه و همؤا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال

(وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) تقتلونني أشر القتل بالرجم ﴿٢٠﴾

(وَإِن لَّمْ تَوْتُمُونِي فَاعْنُرُونِي) أي: لكم ثلاث مراتب:-

١- الإيمان بي و هو مقصودي منكم ٢- فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة (فَاعْنُرُونِي) ﴿٢١﴾

لا علي و لا لي فاكفوني شركم. ٣- فلم تحصل منهم المرتبة الأولى و لا الثانية

بل لم يزلوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى ﷺ غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.

(فَدَعَارِبُهُمْ أَن هَتُولَاءِ قَوْمٌ يُجْرِمُونَ) قد أجرموا جرماً يوجب تعجيل العقوبة. فأخبر ﷺ بحالهم و هذا دعاء بالحال

التي هي أبلغ من المقال كما قال عن نفسه (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) ﴿٢٦﴾

(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ) فأمره الله أن يسرى بعباده ليلاً و أخبره أن فرعون و قومه سيتبعونه ﴿٢٣﴾

(وَأَتْرَكَ^ط الْبَحْرَ رَهْوًا) بحاله ليسلكه فرعون و جنوده و ذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار اثني عشر طريقا و صار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى و قومه.

(لَإِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) فلما تكامل قوم موسى خارجين منه و قوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم و تركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا و أورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ﴿٢٤﴾

و لهذا قال: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) الآبار و الأنهار ﴿٢٥﴾

(وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) وَ هِيَ الْمَسَاكِينُ الْكَرِيمَةُ ﴿٢٦﴾

(وَنَعَمَ^ط كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ) عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا و يلبسون ما أحبوا مع الأموال و الجاهات و الحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة و فارقوا الدنيا و صاروا إلى جهنم و بنس المصير و استولى على البلاد المصرية و تلك الحواصل الفرعونية و الممالك القبطية بنو إسرائيل ﴿٢٧﴾
(كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا^ط) هذه النعمة المذكورة (قَوْمًا آخَرِينَ) و في الآية الأخرى (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا^ط بَنِي إِسْرَائِيلَ) ﴿٢٨﴾

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم و لا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم
فَإِذَا اسْتَحَقُّوا أَلَّا يَنْظُرُوا وَ لَا يُؤَخَّرُوا لِكُفْرِهِمْ وَ إِجْرَامِهِمْ وَ عَتُوِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ.
*** وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ:-
{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} فَهَلْ تَبَكَي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟
قَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَ لَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ وَ فِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ،
فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ وَ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ بَكَى عَلَيْهِ
وَ إِذَا فُقِدَ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ، وَ إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
آثَارٌ صَالِحَةٌ، وَ لَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ خَيْرٌ، فَلَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

(وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) مهملين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال ثم امتن تعالى على بني إسرائيل ﴿٢٩﴾

فقال (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) الذي كانوا فيه ﴿٣٠﴾

(مِنْ فِرْعَوْنَ^ع) إذ يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم (إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا) مستكبرا في الأرض بغير الحق
كقوله: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا} [القصص: ٤]

(مِنَ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين لحدود الله المتجرئين على محارمه ﴿٣١﴾

(وَلَقَدْ آخَرْتَنَاهُمْ) اصطفيانهم و انتقيانهم (عَلَى عِلْمٍ) منا بهم و باستحقاقهم لذلك الفضل

(عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمي زمانهم و من قبلهم و بعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ

ففضلوا العالمين كلهم و جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس و امتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم
*البخاري ٣٤١١ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمَلَمَلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَ لَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ:-

إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَ إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ﴿٣٢﴾

(وَأَنبَتْنَهُمْ) بني إسرائيل (مِنَ الْآيَاتِ) الباهرة و المعجزات الظاهرة (مَا فِيهِ بَلَكُوثٌ مُبِينٌ) (

أي إحسان كثير ظاهر منا عليهم و حجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿٣٣﴾

انكار المشركين للبعث و جزاؤهم ٣٤-٥٠

(إِنَّ هَؤُلَاءِ) المكذبين (لَيَقُولُونَ) مستبعدة للبعث و النشور: - ﴿٣٥﴾

(إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار ﴿٣٥﴾

ثم قالوا - متجرئين على ربهم معجزين له: - (فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (

و هذا من اقتراح الجهالة المعاندين فأى ملازمة بين صدق الرسول ﷺ و أنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟

فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به و تواترت تواترا عظيما من كل وجه ﴿٣٦﴾

(أَهْمَ خَيْرٌ) هؤلاء المخاطبون (أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هُمْ سَبًّا- حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَ خَرَبَ بِلَادَهُمْ،
وَ شَرَدَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَ فَرَّقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ وَ هِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ.
وَ كَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأَوَّلِيكَ وَ قَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانَ كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ
وَ قَدْ كَانَتْ حَمِيرٌ - وَ هُمْ سَبًّا- كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَّوَهُ تَبْعًا
كَمَا يُقَالُ: كِسْرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفَرَسَ وَ قَيْصَرٌ لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ وَ فِرْعَوْنٌ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا
وَ النَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ.

(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) فإنهم ليسوا خيرا منهم و قد اشتركوا في الإجماع

فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين. ﴿٣٧﴾

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) تعالى عن كمال قدرته و تمام حكمته

(وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٌ) و أنه ما خلق السماوات و الأرض لعبا و لا لهوا أو سدى من غير فائدة ﴿٣٨﴾

و أنه (مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ) أي: نفس خلقهما بالحق و خلقهما مشتمل على الحق،

و أنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له و ليأمر العباد و ينهاهم و يشيهم

و يعاقبهم. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات و الأرض ﴿٣٩﴾

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾
 ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾
 إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
 يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾
 وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِينَ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾
 فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) و هو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين و الآخرين و بين كل مختلفين (مِيقَتُهُمْ)

أي: الخلاق (أَجْمَعِينَ) كلهم سيجمعهم الله فيه و يحضرهم و يحضر أعمالهم و يكون الجزاء عليها ﴿٤٠﴾

(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) و لا ينفع مولى عن مولى شيئا لا قريب عن قريبه و لا صديق عن صديقه

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئا ﴿٤١﴾

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

فإنه هو الذي ينتفع و يرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها و سعى لها سعيها في الدنيا. ﴿٤٢﴾

لما ذكر يوم القيامة و أنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:-

١- فريق في الجنة ٢- فريق في السعير و هم: الآثمون بعمل الكفر و المعاصي

و أن طعامهم (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) شر الأشجار و أفضعها تخرج في أصل الجحيم

(طَعَامُ الْأَثِيمِ) في قوله وَ فَعَلِهِ وَ هُوَ الْكَافِرُ ﴿٤٤﴾

و طعامها (كَالْمُهْلِ) كَعَكْرِ الزَّيْتِ - كالصديد المتن خبيث الريح و الطعم شديد الحرارة

(يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) في بطونهم ﴿٤٥﴾ (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة ﴿٤٦﴾

(خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ) وسط (الْجَحِيمِ) ﴿٤٧﴾

(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.
 *وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ يَضْرِبُهُ بِمِقْمَعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، تَفْتَحُ دِمَاعَهُ ثُمَّ يَصُبُّ الْحَمِيمُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْزِلُ فِي بَدَنِهِ
 فَيَسْلِتُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمُرَّ مِنْ كَعْبَيْهِ -أَعَادَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ. (٤٨)

و يقال للمعذب (قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَ التَّوْبِيخِ):-(ذُقْ) هذا العذاب الأليم و العقاب الوخيم
 (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك أنك عزيز ستمتتع من عذاب الله و أنك كريم على الله لا يصيبك
 بعذاب، فالיום تبين لك أنك أنت الدليل المهان الخسيس (٤٩)

جزاء المتقين ٥١-٥٩

(إِنَّ هَذَا) العذاب العظيم (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين (٥٠)
 (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات و الأحزان و غير ذلك (٥١)
 (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم (٥٢)
 (يَلْبَسُونَ) لباسهم من الحرير الأخضر (مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) غليظ الحرير و رقيقه مما تشتهيهم أنفسهم.
 (مُتَقَابِلِينَ) يقابل بعضهم بعضا بالوجوه و لا ينظر بعضهم في قفا بعض يدور بهم مجلسهم حيث
 داروا (٥٣)

(كَذَلِكَ) النعيم التام و السرور الكامل (وَنُزُجَتْهُمْ بِحُورٍ) نساء جميلات من جمالهن و حسنهن أنه يحار
 الطرف في حسنهن و ينبهر العقل بجمالهن و ينخلب اللب لكمالهن (عِينِ) ضخام الأعين حسانها (٥٤)
 (يَدْعُونَ فِيهَا) الجنة (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) مما له اسم في الدنيا و مما لا يوجد له اسم و لا نظير في الدنيا، فمهما
 طلبوه من أنواع الفاكهة و أجناسها أحضر لهم في الحال من غير تعب و لا كلفة
 (مَأْمُونِينَ) من انقطاع ذلك و آمنين من مضرتهم و آمنين من كل مكدر و آمنين من الخروج منها و الموت (٥٥)
 و لهذا قال: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ) ليس فيها موت بالكلية، (إِلَّا) لو كان فيها موت يستثنى لم يستثن

(الْمَوْتَةَ الْأُولَى) التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب
 *البخاري ٤٧٣٠ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي
 مُنَاد: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟
 فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ:
 وَ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ
 وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩]
 وَ هَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩]

(وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ) حصول النعيم و اندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم و كرمه فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا خير الآخرة و أعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) و أي فوز أعظم من نيل رضوان الله و جنته و السلامة من عذابه و سخطه؟ ﴿٥٧﴾ (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) القرآن (بِلِسَانِكَ) سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق و أجلها فتيسر به لفظه و تيسر معناه (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ما فيه نفعهم فيفعلونه و ما فيه ضررهم فيتركونه ﴿٥٨﴾ (فَأَرْتَقِبْ) انتظر ما وعدك ربك من الخير و النصر (إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ) ما يحل بهم من العذاب

و فرق بين الارتقاين:-

١- رسول الله و أتباعه يرتقبون الخير في الدنيا و الآخرة ٢- و ضدهم يرتقبون الشر في الدنيا و الآخرة
* فَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَ الظَّفَرُ وَ عُلُوُّ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَ لِإِخْوَانِكَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ مَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
كقوله: {كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]
وَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٥١، ٥٢] ﴿٥٩﴾